

السياسي عبدالحليم خدام .. التحالف السوري الإيراني والمنطقة

# سوريا في حقبة رئاسة حافظ الأسد اعتمدت الحفاظ على مركزها كقوة عسكرية وسياسية



صدر هذا الكتاب عام 2010م وهو يطرح علينا وجهة نظر لما جرى في حرب الخليج عام 1990م وحتى عام 1992م، والكيفية التي دارت بها أشكال لغة الحوار السياسي بين إيران وسوريا، وموقع العراق في خارطة إعادة صياغة منزلته، وهو ما وصلت له الأحوال من تفكك لعدة دول عربية لم يكن العراق في هذا المشروع سوى الخطوة الأولى .

كيف تصنع التحالفات الاقليمية الهادفة إلى تمزيق دولة وإدخالها في دائرة الانقسام الجغرافي لدول الحدود المشتركة، ولكن دون وضع شروط لهذا التصعد الذي ان حدث لا تقف هزاته عند نقطة واحدة؟! ذلك ما يكون عند عجز الخروج من مأزق التصعد الذي رسم للعراق بعد الضربة الأمريكية.

نجمي عبدالمجيد

يسمح لها ببناء قواعد سيطرة كاملة على العراق، وإن ترك لها مساحة من التحرك؛ لأن التحالفات في مثل هذه الأمور مرحلية، وسياسة المراحل ليس لها موقف حواري معين بل هي تتقلب حسب ما يكون من استراتيجية إدارة الأزمات وهو يجعل كل طرف يعيد رسم خرائطه التي تتصادم مع تحركات الأهداف الدولية.

ان الشعور بالقلق من زهاب العراق نحو عدم القدرة على الدخول في الطاعة الكاملة لإيران يجعل الرهان على سياسة المذهب حالة غير مستقرة، وهو ما أوجد تنظيم القاعدة وداعش وغيرهما من مراكز صناعة الحروب الأهلية في العراق، وهي رسالة لإيران تقول: لن تكوني الوحيدة في هذه الساحة فلم يعد العراق سد الحماية لمنطقة الخليج وهو كذلك مزعزع لاستقرار إيران؛ لأن الفوضى لا تسمح - ان تحكمت بالموقف - ان يكون هناك مشروع كامل الصلاحية وهو ما كانت تتركه إيران في حواراتها مع الجانب السوري، وكذلك سوريا وهو ما رفع درجة التخوف من تمدد قوة الانفلات الشاملة على حدود كل دولة؛ لأنها لن تجد الطرف المسيطر على بلد مثل العراق لو ذهب إلى التقسيم سوف تذهب معه دول المنطقة، وهو ما يجري اليوم على مساحات الحروب الأهلية وتتصارع النفوذ الإيراني والغربي.

لذلك أراد عبدالحليم خدام وهو وزير خارجية سوريا في عهد حافظ الأسد والذي انشق عن النظام بعد رحيل القائد السوري والذهاب إلى فرنسا ليكشف بعضاً من أوراق هذا التحالف. يدل على ان المسائل لم تكن كما صور لها في دوائر اللقائات ونقاط الحوار.

لأن التفاوض في مثل هذه المسائل يكون مرهوناً بتدخل المصالح للقوى الكبرى وهي من يملك مفاتيح الأبواب التي تذهب نحو الاتفاق المظلمة، والابتعاد عن المشهد يقدم مزيداً من ادراك ابعاد المسافات لقضايا كان يظن البعض ان حلولها هنا، لكن مسار الأحداث ذهب بها نحو زوايا لن تكون داخلية في اطار من جلسوا على طاولة محاولة صنع القرار والذين عرفوا بعد ذلك انهم لم يكونوا إلا ساعي بريد يحمل رسائل ولا يعرف ما في داخلها، وهذا يدخل في اطار لعبة الأمم التي ظلت لعهد ساحة تجارب لسياسة القوى العظمى في منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما أوصل المشروع الإيراني في العراق إلى تقسيمه إلى عدة دويلات ليس من السهل السيطرة عليها تحت حاكمية المذهب الواحد.

اليوم نرى سوريا وقد دخلت في هذا المأزق فلم يقدم لها التحالف مع إيران طوق النجاة، بل جعل منها دولة محطمة قابلة لخلق دويلات في داخلها بعد ما أكلت الحرب الأهلية فيها ما كان مساعداً على الامسك بوحدة السياسة، فلم تصنع عقيدة المذهب والسلاح فيها إلا هذا التشرذم الذي أفقد الولاء للوطنية ليصبح الوطن هو المذهب، بل لعب المال السياسي الإيراني أكبر الأدوار في خلق كيانات غير متجانسة على جغرافيا واحدة، بل جعل من كل مساحة مشروعا ترسم معالمه عبر السلاح وبناء تحالفات خارج نفوذ الدولة، وبالرغم مما تقدمه إيران من دعم لبقايا النظام السوري اصبح من الصعب عودة سوريا لعهد حافظ الأسد؛ لأن الرهان له اعراضه من تصدعات المشهد، كلما طالت فترة الحروب ذهب كل محاولات خلق تحالف القوى الشاملة التي فرضت في حقبة من التاريخ كانت فيها عوامل خارجية وداخلية تخدم مركز السيطرة في قلب النظام السوري الذي جعل من قوة القمع العسكري والسياسي قوة التحكم في صناعة القرار، وحين تتحطم جغرافية السيطرة لا يعود هناك مجال في استعادة السابق الذي قام على سحق حقوق المواطنة، لتأتي قوى اخرى تمارس نفس فعل القهر السياسي، وهو ما حاول هذا الكتاب تقديم بعض من ملامحه في زمن السقوط العربي.



حافظ الاسد



صدام حسين



عبد الحليم خدام

## الملاحظ في جوهر حوارات الكتاب وجود رغبة إيرانية في تقسيم العراق

## إيران وصلت في العراق إلى مرحلة فقدان السيطرة الكاملة

ان النفوذ المذهبي - الشيعي الذي مارس العنف في أكثر من بلد دخل فيه، لا يوجد الأرضية الصلبة التي تقف عليها ركائز هذا العمل. بل هي تنتج الرمال المتحركة المدمرة لأن مساحات الدم والنار لا رهان عليها إلى حدود النهائية المطلقة.

لقد أدركت إيران وسوريا ان سقوط العراق لا يصنع غير الجغرافيا المفتوحة، وهو الواقع الذي فيه العراق اليوم حيث تلعب القوى الدولية والاقليمية دورها المخرب فيه، فلم تعد إيران صاحبة اليد الواحدة في هذا البلد.

وطالما وصلت إيران في العراق إلى مرحلة فقدان السيطرة الكاملة سوف يكون هذا في لبنان واليمن وسوريا؛ لأن اللاعب الدولي في المنطقة لن يسمح بالتفرد لدولة واحدة في مركزية القرار؛ لأن هذا يعني العود لهيمنة الطرف الأوحده، في مرحلة سقطت فيها كل سياسات الانفراد الذاتي في سياسة المنطقة، حتى وصل الحال إلى التجريد الكامل لصناعة القرار السيادي، وما يجري مع إيران من تمدد في بعض الدول يدخل في اطار دفعها نحو مزيد من احراق مصادر قوتها الداخلية عبر جرها إلى صراعات خارجية، وهذا ما سيقود إلى سقوط إيران من الداخل.

نظرت سوريا إلى حرب الخليج - تحرير الكويت وخطة تدمير العراق من قبل القوى الدولية من منطلق إعادة هيكلة المنطقة، وهو الشعور السياسي الذي يجعل أكثر من طرف يدرك بان سقوط الخصم لا يعني كسب المعركة. ولايجاد الحليف الممكن عند خطوط المواجهة بل هو الذهاب نحو صناعة واقع الأزمات والحروب، لذلك ظلت حواراتها مع إيران تنطلق من محاولة السيطرة على مكان ليس من السهل وضعه في اطار التجسد السياسي بعد ما تحول إلى مساحة تناحر خارج اطار الامسك بوحدة قادرة على جعلها في موضع التعاون مع اتجاه متجدد. لقد أدركت إيران ان الدخول الغربي بقيادة أمريكا لن

الملاحظ في جوهر حوارات هذا الكتاب وجود رغبة إيرانية في تقسيم العراق فلم يكن من السهل الذهاب نحو هذا المشروع إلا بسقوط صدام حسين، وهو هنا ليس مجرد عدو مرحلي لإيران .

بل تدمير أي قوى تأتي من بعده في العراق تحافظ على وحدة هذا البلد .

العراق عند إيران هو بلد شيعي وليس عربياً . هنا تصبح المسألة ليست في اطار جغرافية الانتماء الوطني لصفة الهوية الواحدة، بل تمتد بمقدر ما تمتد الحدود المذهبية، حيث يصبح الولاء للطائفة، وهو ما أدخل العراق في هذا الخراب الذي ساهمت فيه إيران إلى حد كبير، بل نحن اليوم أمام أكثر من عراق وشعب وافكار تتقاتل، مما أدخل العراق في صراع الهويات المتناحرة واستراتيجية - سياسية إيرانية نفذتها في لبنان واليمن وسوريا، وهذا يدل على ان العقل الفارسي قد رسم مشروعه نحو المنطقة منذ عقود، واليوم نلاحظ التحرك الشيعي - المذهبي في منطقة الخليج العربي، مما يؤكد ان هذه المنطقة مقبلة على بزكان ليس من السهل صدّه لو انفجر في لحظة لم يدرك حكمها مدى قوة تدميره، هنا تعجز كل مصداق حواجز ايقاف الطوفان الناري، ولعل اليمن في هذه المعادلة هي الأخطر بعد ما أصبحت بالنسبة لإيران الجغرافية - المذهبية المتحركة نحو منابع النفط، وهو مخطط التحالف الفارسي الصهيوني الأمريكي.

غير ان سياسة ترحيل الأزمات عند خطوط المواجهة لن تعمل إلا على اشعال المزيد من الحروب في الشرق الأوسط. لكن من الملاحظ في سلسلة الحوارات الدائرة بين سوريا ومراكز القوى السياسية في إيران حالة من عدم التيقن في بسط النفوذ الإيراني الكامل على المنطقة، ربما تدرك القيادة الإيرانية ان صناعة الحروب تفرز مراكز مغايرة لها عوامل وحسابات ضد مشروعه.

لم يكن موقف إيران وسوريا سوى اسقاط نظام صدام حسين مقابل العجز الكامل عن فرض البديل القادر على الامسك بمساحة العراق والتي جعلت منه هزة السقوط دوامات لصراعات مذهبية ودينية ومناطقية وعقائدية وعرقية وكل ما يوصل إلى الوطن الواحد إلى خلق أوطان وشعوب في ذات المساحة المشتركة.

لإيران موقف من حقيقة حكم حافظ الأسد على الحفاظ على مركزها كقوة عسكرية وسياسية - ودورها في لبنان يعزز هذه الرؤية - دون الدخول في تحد أو صدام مسلح مع إيران أو العراق وحتى حروبها مع إسرائيل وضعت في مساحات محددة من نظرية الاشتباك العسكري.

وفي هذا بعد نظر كي لا تذهب نحو حروب مع قوى اقليمية ودولية تقود النظام السوري إلى حافة السقوط الكامل .

من هنا نجد اساليب الحوار في العمل السوري سياسياً تأخذ النفس الطويل مما يعطي لها فرص إعادة صياغة الأهداف وتحرك التحالف حتى لو كان هذا في اطار فترات معينة بعدها يمكن الانتقال إلى زاوية اخرى تساعد على جعل الرؤية السوية في اطار ما هدفت له سياستها من حفظ توازن التحالف حيث ما تقف معالم مصالحها بعكس العراق الذي دفع إلى أكثر من صدام عسكري ذهب به نحو الدمار والعجز عن قيام سلطة مركزية له حتى اليوم.

لقد صاغ عبدالحليم خدام، وهو رجل السياسة الخارجية لحكم حافظ الأسد، نوعية العلاقة مع إيران. لقد أدركت سوريا انه ليس من السهل جعل دولة في مكانة إيران في موقع المواجهة مع سوريا بل جعل هذا التحالف الجغرافية السورية وجعلها في حالة العراق.

لكن هذا النوع من سياسة الوفاق بين الأطراف وفي منطقة تلعب فيها قوى اقليمية ودولية، ليس من السهل الاعتماد فيها على خارطة تتماسك فيها أطراف الحدود الواحدة . إيران ظل العراق لها منذ قيام السلطة المذهبية فيها ترى في هذا البلد قوة روحية - طائفية يجب احتلاله من الداخل، وهي السياسة التوسعية التي تمددت فيها نحو أكثر من دولة وأخرها اليمن. ولكن هذا النوع من مدارس العمل السياسي لا يمتلك القدرة على الامتداد خارج نفوذ الطائفة، هناك قوى اخرى ترفض الهيمنة. فليست إلا حسابات هنا تقف عند حدود البعد الواحد وهو ما خلق اشكاليات متعددة للمشروع الإيراني حتى في داخل إيران نفسها؛ لأن سياسة التوسع عبر الحروب الطويلة لا تقود إلا إلى تدمير مراكز القوى الداخلية، وهذا ما يجري في إيران بعدما تصاعدت فيها أصوات اعراق وطوائف ومذاهب وثقافات قد تذهب بها نحو الانهيار الداخلي، وهو ما رسم لها في اطار مشروع الشرق الأوسط الجديد.

وهناك من يرى ان المأزق المتناحري - التدميري الذي وقعت فيه سوريا في الرهان لم يكن إلا بسبب تحالفها مع إيران والذي ذهب بها نحو تمزق جغرافيتها مع دول مثل تركيا وإسرائيل وروسيا، وذلك بفعل الحرب التي دخلت بها دون معرفة إمكانية وضع الخط الفاصل بين البداية والنهاية لها .